٣ ـ غرب أوربـــا :

تأثرت حضارة العصر الحجري الحديث في مراحلهـــا الاولى بجنوب وجنـوب غرب بريطانيـــا (١١٠) بالعصر الحجري الحديث الفرنسي ولكن معظم انجازاتهـا تأثرت بسـهولة أوربا الشـمالية في الشرق . ان القبور الطويلة ذات الجوانب المتوازية أو الاسفينية الشـكل لا يوجـد مثيل لهـا في فرنســا بـل في الشرق وتمتد هناك حتى بولنده . واقدم الفخاريات في غرب أوربا جاءت من سواحل وجزر البحر المتوسط وخصوصا الاواني الفخارية التي نقشت بالحبل المضغوط فقد وجدت في مرسن باسيا الصغرى وفي اوغاريت بسورية ثم في جزر لوكاس Leukas و كورفو Kurfo على سواحل يوغسلافيا وفي سواخل ايطاليا الادرياتيكية وفي جزيرة مالطة وصقلية والباوسردينية وفي سواحل ليكوريا وفي بروفنس بفرنسا وفي سواحل اسبانيا الشرقيـــة والجنوبية الشرقية وفي سواحل البرتغال الجنوبية الشرقية . ان الآلات الحجرية التي استخدمها الفلاحون الاوائل في غرب أوربا كانت نصـالا ورؤوس سهام وجد معظمها في الكهوف والملاجيء الصـخرية وتدل الفـؤوس الحجـرية المصـقولة على قطع الاشجار تمهيدا للزراعة وعلى صناعة الاخشاب .

ومن جملة الآلات التي صنعوها من العظام ملاعق الطعام ولاغراض الزينة والحلي استعملوا اسنان الحيوانات والاصداف والعظام والاحجار المصقولة. اما الاواني الفخارية البسيطة ذات القواعد المدورة التي وجدت في مواقع العصر الحجري الحديث بفرنسا و فيأقسام من شبه جزيرة ايبريا وبجوار البحيرات السويسرية فلا يعرف ما اذا كانت قد انبثقت من نفس المنطقة التي ظهرت فيها الاواني المطبوعة أو انها كانت تمثل حضارة مستقلة .

وليس لدينا سوى ادلة قليلة على ان بحارة من البحر المتوسط قد وصلوا الى شمال غرب اوربا في الالف الثالث والالف الثاني قبل الميلاد غير انه وجدت اصنام برتغالية الصنع في ايرلندة وفي جزيرة مان وغيرها وكانت هذه الاصنام لها علاقة بالنصب الحجرية الميكاليثية التي سبق ان اشرنا

Scanned by CamScanner

اليها . كما وجدت قطع من الكهرمان البلطيقي في بريتاني الا انه لم يجمع أي كهرمان من النصب الحجرية المشيدة بالقرب من موربيهان التي ربما كانت أهم مراكز المواصـــــلات القديمة في غرب اوربا . كانت الرحلات الساحلية تتبع سواحل ايبريا وغرب فرنسا ثم تعبر شبه جزيرة بريتاني وربما لعبت جزر بحر المانش دورا كبيرا في المرحلة الثانية للرحلات المتجهة شمالا في طريقها الى كورنول وبحر سانت جورج والبحر الايرلندي . وقد وجدت على طول هذا الطريق صخور يمكن ان تصنع منها أدوات حجرية كما وجدت خامات النحـاس ومعـــدن الذهب الذي كان يجمع تبره من مجـــاري الانهار الايرلندية واستمر الطريق شمالا عبر بحر الشمال واوركنى وشتلند ثم الى الدنمرك . ويدل توفر النصب الحجرية والاثار في اقطار غرب البلطيق الى انها كانت محط الرحال وهدفا لرحلات كثيرة بحثا عن مادة الكهرمان على شواطيء الدانمرك وسواحل بحر البلطيق .

ومن المحتمل ان طرازا واحدا من طرز بناء النصب الحجرية(١١١) . وهو الطراز المكون من دهليز تغطية قطعة صخر واحدة ويؤدي الى حجرة مسقوفة قد انتقل بطريق الملاحة الساحلية . كانت الحجرة الداخلية تمتاز بفناء خارجي تحيط به صخور قائمة ويؤدي الى عدد من التوابيت المرصوفة في خط مستقيم . وكانت القبور المسقفة بالصخر شائعة في اسبانيا القديمة وعرفت النصب ذات الفناء الخارجي في سردينية . وفي حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد أو بعد ذلك مباشرة ظهرت في اسبانيا انواع جيدة من الاواني الفخارية بهيئة أقداح للشرب عرفت بالاقداح الناقوسـية الشـكل وقد صنعت من طينة جيدة وكانت صلبة وجيدة الحرق . ان هذه الاقداح بأنواعها المختلفة لها أهمية خاصة لانها انتشرت في جهات متعددة من أوربا فقد وجـدت في اقطار وسط اوربا وفي الاراضي المنخفضة وفي بريطانيا .

واتضحت مظاهر حضارية جديدة في غرب أوربا في بداية عصر الحـــديد حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد(١١٢) ، وكان استخدام الحدية في صناعة الادوات

Scanned by CamScanner

قد نشأ بالتأكيد في منطقة جنوب غرب آسيا فقد عرف الحيثيون الطرق الفنية اللازمة لتلك الصناعة منذ وقت مبكر بين عامي ١٨٠٠ـ١٦٠٠ قبل الميلاد وربما يعود انتشار هذه الطرق الفنية في اوربا الى الوقت الذي اعقب سقوط الامبراطورية الحيثية على يد حدادين ينتقلون من مكان الى آخر . وأهم مظاهر هذه الحضارة الجديدة هو استخدام سيف من الحديد ذي حدين طويل ومستقيم وله طرف عريض ويظهر انه كان يستخدم للضرب بحدة لا للطعن ومن المرجح ان هذا السيف كان يستخدمه رجال يمتطون الجياد وقد عثر في المقابر التي يرجع تاريخها الى هذا العصر على ادوات لركوب الخيل وأخذت هذه العادة تعم مع الزمن مما يوحي بانهم استخدموا الخيول للركوب لا لجر العربات الحربية . وهناك ظاهرة اخرى جديدة ظهرت في هذا الوقت وهي احراق جثث الموتى ووضع رمادهم في اواني .

وظهرت في غرب أوربا مجموعتان من حملة حضارة الحديد وهما الكلت(١١٣) والجرمان(١١٤) اما الغال الذين ذكروا كثيرا في كتابات الرومان فيما بعد فكانوا قسما من المجموعة الكلتية وكان مركز استيطانهم فيما يعرف الان باسم فرنسا . وكانت غالبية الجرمان يقطنون الى الشرق والشمال من نهر الراين في ذلك الوقت وكانوا في مستوى حضاري متدني لبعدهم عن المراكز الحضارية في الجنوب . وقد عاش الجرمان على رعى الماشية وكانوا يقيسون ثروتهم بعدد الحيوانات التي لديهم . ولم يزرعوا الا القمح كما انهم ينتقلون بزراعتهم من حقل الى حقل في كل عام لان الغابات الكثيفة كانت منتشرة في معظم المنطقة ولذلك استخدموا طريقة قطع أو احراق اشجار الغابات لزراعة الاراضي ولم تكن لديهم مدن كبيرة في المناطق التي استوطنوها وكانت بيوت القرى متباعدة عن بعضها وتعيش فيها العائلات متفرقة عن بعضها وتسكن كل منها على حدة في بيت يشيد من الخشب المغطى بالطين الملون . وكانت ملابس الرجال عبارة عن عباءة طويلة تلبس فوق سروال ضيق . اما النساء فكانت ملابسهن من قطعتين من

Scanned by CamScanner

القماش تثبتان عند الخصر وفي الايام الباردة كن يلبسن عباءة طويلة للتدفئة واستخدمت النسوة بعض الحلي البدائية الصنع الثقيلة الوزن وكان بعض هذه الحلي من الحديد . ولم يكن الجرمان ماهرين في الصناعة ولم يستخدموا من الحديد الا كميات قليلة . اما اسلحتهم فكانت سيوف طويلة ذات حدين قاطعين ورماح خفيفة لها رؤوس صغيرة ودروع . وكان القليل من الرجال يضعون على رأسهم خوذة تصنع في العادة من الجلد ولم تكن الدروع الزردية التي تغطي الجسم شائعة الاستعمال بينهم .

وكانت العائلة تتألف من زوج وزوجة واحدة فقط واولادهما وكان الزواج بالشراء والزوج هو الذي يدفع الثمن ويرد هذا الثمن فيما بعد من قبل اهل الزوجة الى العائلة الجديدة ليكون صداقا لها . وكان تبادل الاسلحة والحيوانات الوسيلة المفضلة في التجارة وتبادل الثروة . وكان المجتمع الجرماني يتألف من الزعماء وعامة الشعب ورقيق الارض ولم يكن مألوفا بيع الرقيق ولكن اصحابهم كانوا يستطيعون قتلهم دون ان توقع عليهم أية عقوبة . وكان الطريق الوحيد للترقي هو الحرب كما كان النهب الطريق المفضل للحصول على الثروة في حالة عدم وجود تجارة وصناعة . وباستطاعة الرجل العادي الذي يبدي شجاعة فائقة في الحرب ان ينال تقدير الناس مثلما يقدر أي رجل من العائلات التي تتولى الزعامة . ومع ذلك كان الجرمان يختارون زعماءهم عن طريق الوراثة ويختارون قادتهم للحروب عن طريق الكفاءة الحربية . وكان رجال القبيلة يجتمعون مرة في كل شهر قمري ويكون الاجتماع اما في أول الشهر أو في نهايته ويعقد المجلس برئاسة كاهن القبيلة ويبحث في الامور التشريعية وللفصل في المنازعات وكان الزعيم ينفذ ما يوصي به المجلس ويتقيد بقراراته . وكانت هناك مواد قانونية تميز بين الجرائم التي تقترف ضد الجماعة والجرائم التي تقترف ضد الافراد وكانت الجرائم التي ترتكب ضد الجماعات تعتبر جرائم كبيرة ويعاقب مرتكبها بالموت غالبا اما الجرائم الثانية فكان مرتكبها يدفع

Scanned by CamScanner

التعويض عما احدث من الخسائر · وكان القتل جريمة كبرى ولكن يمكن التكفير عنها بدفع التعويض الى اقارب المقتول ·

اما ديانة الجرمان فكانت ديانة وثنية مشركة اذ عبدوا عددا من الالهة تشبه كثيرا الالهة الرومانية · واهم الهتهم ميركرى الذي كانوا يقدمون له القرابين البشرية ومن الهتهم مارس وهرقل وهناك غابات صغيرة مقدسة كثيرة العدد وضعت فيها تماثيل الالهة للعبادة وكانت القبيلة تحمل معها هذه التماثيل عندما تذهب الى الحرب وكانت المعابد مباني صغيرة وتستخدم لخزن الاصنام والادوات ذات العلاقة بأمور الدين · وجرت عادة الجرمان باقامة جميع احتفالاتهم في العراء في مواعيد محدودة من السنة وخصصوا لكل غابة صغيرة كاهن أو كاهنة لاقامة الشعائر الدينية فيها ولكن من غير المرجح ان هؤلاء كانوا يؤلفون طبقة كهنوية منظمة · واعتاد الجرمان على تقديم القرابين للالهة ويقوم رئيس الجماعة بالنيابة عن اقربائه بتقديمها وباقامة الشعائر الدينية · واعتمد الجرمان على العرافة وطريقتهم فيها هي القاء حزمة من العصى القصيرة فوق عباءة بيضاء وملاحظة مواقع سقوطها وكانوا يلجأون الى سلوك الطير والحيوان لمعرفة الفال وكانت بعض النساء يقمن بعمل الوحي فيجبن على الاسئلة وهن في غيبوبة تامة · اما العادات والتقاليد التي كان الجرمان يمارسونها في حالة وفاة احدهم فكانت تسير وفق العادات والتقاليد الموروثة من القدم فجثث الاموات تحرق ويدفن رمادها في جرار فخارية او برونزية وكانوا يقدمون للاموات قليلا من القرابين ·

واحتلت قبائل الغال Gauls المنطقة الواقعة الى الجنوب والغرب من منطقة الجرمان وسكنت المجموعات الكلتية التي ترتبط بالجرمان برابطة القرابة في بريطانيا وايرلندة · وكانت للغال صلات بحضارات منطقة البحر المتوسط منذ عدة قرون وكانوا يتاجرون مع سكان هذه المنطقة حينا ويغيرون عليهم حينا آخر · وقد اخذوا الكثير من حضارات اقاليم البحر

Scanned by CamScanner

المتوسط وتدل المخلفات الاثرية التي عثر عليها في المستوطنات التي تقع مباشرة غربي جبال الالب على ان الغال كانت عندهم مهارة غير اعتيادية في صناعة الحلي الذهبية والفضية والآلات والادوات البرونزية والحديدية وكانوا يزخرفون الادوات المعدنية برسوم حلزونية متقنة وجميلة · وقد تأثر الغال بحضارة الاغريق أيضا عندما استقرت جماعة منهم في المنطقة التي تعرف الان باسم مرسيليا ثم اخذ هؤلاء الاغريق يتوغلون في الاراضي الداخلية·· واتصل الغال ايضا بالاتروسكان الذين ثبتوا اقدامهم عند رأس بحر الادرياتيك ثم انتشروا في شبه الجزيرة الايطالية · وربما كانت العربة الحربية الخفيفة التي استخدمها الغال المبكرون على نطاق واسع قد تطورت عن اصول اتروسكية · وكان للغال مقدرة حربية فائقة في الهجوم المدمر الذي قاموا به ضد جيرانهم الجنوبيين فقد غزوا ايطاليا مرات متعاقبة وأغاروا على بلاد اليونان وعلى آسيا الصغرى ·

واستقر الكلتيون في ايرلندة وتعتبر طرق معيشتهم فيها نموذجا لحياة الاخرين منهم في الاماكن الاخرى ففي ايرلنده نجحوا في الاحتفاظ باستقلالهم على مدى العصور الرومانية وكانوا يهتمون بتربية الحيوانات المدجنة من الماشية والخيل والخنازير وكان اهتمامهم بالخيول لا من اجل لحومها أو لبنها بل لاستخدامها في جر العربات الحربية أولا ثم لركوبها بعد ذلك غير ان فرق الخيالة منهم لعبت دورا ضئيلاً في القوات الايرلندية الحربية · وكان الخنزير أهم حيوان لديهم وعليه يعتمد ارباب العائلات الصغيرة في الطعام · وكانت العائلات الكلتية تنتقل من مكان الى آخر في مواسم معينة بحثا عن مراعي جديدة لحيواناتهم ولذلك كانوا يبنون لانفسهم في تلك الرحلات اكواخا مؤقتة من اغصان الاشجار · وكانت الارض تزرع من قبل مجموعات صغيرة من العائلات التي تتعاون فيما بينها وكانت هذه المجموعات في اغلب الاحيان متصلة بصلة القرابة · ولم يكن البناء بالحجارة معروفا في ايرلندة حتى وقت متأخر نسبيا وعندما ظهر فيها كان ذلك راجعا

Scanned by CamScanner

الى تأثير صلتهم بالرومان وكان فقراء الايرلنديين يعيشـــــون في اكواخ مستديرة أو مربعة مصنوعة من أغصـــان الاشـــجار المتشابكة . اما الموسرون منهم فكانوا يعيشون في منازل مستطيلة من الخشب .

وكانت ملابس الرجال في العادة تتالف من قميص يصل الى الركبتين وحزام حول الخصر ومن معطف يخلعونه عندما يكونون داخل الدار . ولم يلبس الايرلنديون السراويل . اما النساء فكن يلبسن رداء مكونا من قطعتين تثبت بحزام حول الخصر وصنعت هذه الملابس من الكتان أو الصوف ومن الحرير في النادر .

واختلفت اسلحة الايرلنديين عن اسلحة الغال والجـــــرمان وكانت الاسلحة المفضلة لديهم هي الرمح والفأس الخفيف واستبدلوا السيف الطويل بسيف آخر متوسط الطول يصلح للطعن . اما اسلحة الدفاع فقد اقتصرت على ذرع مستدير وخوذة في بعض الاحيان .

ويلقي التنظيم الاجتماعي الايرلندي اضواءا كثيرة على تلك النظم التي كانت سائدة بين الكلتيين في القارة الاوربية . لقد كانت الوحدة الرئيسية هي الجماعة التي تربط بينها صلات القربى وتتكون الجماعة من عائلات يشترك افرادها في ملكية الارض الزراعية ولكنهم كانوا يستأجرون الماشية من اسيادهم النبلاء كل منهم على حدة . وكان نظام الزوجة الواحدة هو الشائع بين هؤلاء الكلتيين ولكن الرجل كان يحق له ان يتخذ لنفسه المحظيات . والرجل هو الذي يدفع المهر للمرأة غير ان هذا المهر يقل كلما اتخذت المرأة زوجا جديدا لها . وكانت القرية تتألف من مجموعة من العائلات التي ترتبط ببعضها بصلات القرابة وكانت تلك العائلات تعيش متجاورة وتشترك في زراعة الارض التي تعتبر ملكا مشاعا بينها . وكان المجتمع الكلتي يتألف من عدة طبقات رأسها الملك وأفراد عائلته ويليه النبلاء ثم الوجهاء وهم رجال احرار لهم الحق في الاحتفاظ بماشيتهم والاشتراك في زراعة الارض ويأتي بعد هؤلاء افراد طبقة خدم الارض واخيرا وفي اقل

Scanned by CamScanner

مكان من السلم الاجتماعي يأتي الرقيق الذين كانوا يباعون ويشترون . وكال النبلاء والوجهاء يقسمون ايضا الى اقسام فرعية حسب ثروتهم ونسبهم .

ولا نعرف عن ديانة ايرلندة ومعتقدات الكلتيين فيها الا القليل . ويعتقد انه كان لديهم نظام كهنوتي ونوع من التنظيم الهندي الاوربي لالهة من الذكور والهات من الاناث وكانوا يعتبرون هذين النوعين من الالهة متساويين مثل الالهة الاولمبية الذين ذكرهم الكتاب الكلاسيكيون . وقد وجدت في ايرلندة وفي غيرها من أرض القارة الاوربية عبادات لبعض الالهة التي تعود لحضارات قديمة ومثال ذلك الاله المرسوم بقرون الوعل والذي وجدت له نماذج كثيرة في بلاد الغال . وكانت الاحتفالات الدينية لهؤلاء الكلتيين تقام في العراء حيثما توجد الاحجار الميكاليثية وكان الكهنة هم الذين يشرفون على اداء الطقوس الدينية وقد وجدت بينهم فئة من رجال الدين تشرف على تقديم القرابين والتنبؤ عن الغيب وعمل السحر وغير ذلك من المراسيم والشعائر التي لها علاقة بالدين .

Scanned by CamScanner